

الفصل الثاني

obeikandi.com

فضائل التوبة

• اعلم أن للتوبة فضائل كثيرة منها :-

أولاً: بالتوبة يحصل الفرد على محبة الله عز وجل :-

قال تعالى:

﴿.....إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٣٣)

[البقرة: ٢٢٢]

ويا لها من فضيلة عظيمة أن يحبك الله فإذا أحبك جعل كل الناس

يحبونك .

فإن الله إذا أحب أحداً قال يا جبريل إني أحب فلان فيحبه جبريل لحب

الله له وينادي جبريل في الملائكة إن الله يحب فلان فتحبه الملائكة لحب ربها له

ويبسط له القبول في الأرض فيحبه كل من في الأرض ليس الإنسان فقط ولكن كل

شيء على الأرض .

كما أورد البخاري في كتابه باب "أطلقت من الله " ثم أورد حديثاً يدل

على ذلك:

قال رسول الله - ﷺ - " إذا أحب الله العبد قال يا جبريل إني أحب

فلان فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يحب فلان فأحبهه فيحبه ثم

يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض الله أحد قال لجبريل إني أبغض فلانا

فببغضه جبريل ويقول للملائكة إن الله يبغض فلانا فأبغضوه ثم يوضع له البغض في الأرض".

* فرصة عظيمة يا من يشتكي من قلة الأحبة والخلان إذا عدت إلى الله وتبت إليه بسط لك الحب في الأرض يا من يشتكي الوحدة وقلة حب الناس له ألا يكفيك أن يحبك ملك الملوك والله هي غايتنا وسعادتنا وأعلى أمانينا فحبب الله نجونا من النار.

فنحن نعيش في هذه الدنيا راجين حب الله ورضوانه فهي النعمة التي لو حصلنا عليها لفزنا بروح وريحان ودخول الجنان والعقود من النيران ورضا من الرحمن.

• ولكن اعلم أن لحب الله علامات :-

اعلم أن حب الله لا يكون إلا بالطاعة لكل ما جاء به الله بإتباع كل ما أمر به واجتناب كل نواهيه فلا يعقل أن يطاع من لا تحبه طاعة رغبة ورهبة لا طاعة جبر كما قال القائل :

أُتدعى حب الإله و أنت

مخالف له فكذب و هراء

فالحب أولى علاماته

طاعة و ولاء وإتباع

ومن علامات حب الله أيضا إتباع النبي في كل ما بلغ عن رب العزة تبارك وتعالى قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

[آل عمران: ٣١]

فاتباعك للنبي تحصل على محبة الله جل وعلى فأبشريا من آمنت
بالرسول - ﷺ - وأتبعته طريقه بحب الله لك.

ومن علامات حب الله أيضا رضاك أنت عن الله وعدم السخط من
قضائه فهو أعلم بما ينفكك وبما يضرك وهي من علامات المؤمنون قال تعالى:

﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨]

أعلم أن في هذه الآية علامة أخرى من علامات حب الله آلا وهي خشية
الله تعالى فبخشيتك تحصل على رضاه جل وعلى ومحبته.

- ومن علامات حب الله أيضا كثرة الابتلاء فورد عن النبي - ﷺ - أنه
قال " إذا أحب الله عبداً ابتلاه" ويتلى المرء على قدر إيمانه فأبشريا من وقع
في البلاء بحب الله لك أليس الصادق هو الذي يقول لك هذا الكلام وأعلم أن الله
يكثر البلاء على من يحبه حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة فيا من وقعت
في البلاء بحب الله لك فلا تتحسر من كثرة وقوع البلاء وأعلم أن البلاء كلما زاد
على العبد كلما كان من الأعلى في الدرجات والكثير من الحسنات أليس
الرسول - ﷺ - يقول " يتلى المرء على قدر دينه، وأكثر الناس بلاء الأنبياء ثم
الذين يلوونهم".

- ومن علامات المحبة أيضا الإكثار من فعل الطاعات والبعد عن المنكرات
فإذا رأيت في نفسك زيادة في أعمال الخير كلها وتحب الإتيان منها فاعلم أن الله

يحبك بأن جعلك تتقرب إليه بفعل الكثير من الطاعات فإنها من علامات الإيمان التي امتدح بها المؤمنون وجعلها من علامات الإيمان قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [المؤمنون: ١: ٤]

إلى آخر هذه الآيات التي امتدح فيها المؤمنون وأعلم أن الله إذا امتدح فعل شخص فإنه أحبه ولا تحصل على رضاه إلا بالطاعة وجعل علامة حبه كثرة طاعته طمعا في رضاه وجعلها علامة للقرب منه - عز وجل - .

قال الله في الحديث القدسي :- " ما تقرب إلي عبد بشيء أفضل مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإن أحببته كنت سمعهِ الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن استعاذني لأعيذنه ولئن سألتني لأعطينه . "

ثانياً: بالتوبة يفرح الله - عز وجل - بك :-

فإن الله - عز وجل - يفرح بتوبة عبده الذي عصاه ثم عاد إليه نادماً على ما اقترف من الذنوب وقد ضرب لنا رسول الله أروع الأمثلة لفرحة ربنا تباركت أسماؤه وعظم جاهه ونحن نؤمن بأن الله ليس له مثيل فهو غني عن التشبيه والتمثيل والتكليف فكل ما جاء ببالك فالله غير ذلك فربنا تبارك وتعالى هو الكمال الذي ليس بعده كمال فصفااته كلها صفات لا يضاهاها أي صفة في صفات المخلوقين في الدنيا حتى ولو كان أكمل الخلق محمد - ﷺ - .

فمن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فأضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فقال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح".

فيا له من كرم للكرم يفرح بتوبة عبده العاصي إذا عاد إليه وهو الغني عن كل الناس فهو أحق من عبد وأعظم من أبتغى وكيف يكون فرح الرجل الذي أيقن بالهلاك عند النجاة ولله المثل الأعلى فكيف يكون فرح ربنا بتوبة عبده العاصي إذا عاد إلى طاعته .

- يعصاه وإذا رجع إليه قبله ، يعصاه وإذا تاب عن معاصيه تاب عليه ، فأبشريا من وقعت في المعاصي أنك إذا وقعت في المعاصي فلا تيأس من رحمة الله فالله هو الغفور يفرح بتوبتك قال تعالى :

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ [الزمر: ٥٣]

ثالثاً : بالتوبة من الذنوب والمعاصي يبذل الله هذه الذنوب والمعاصي إلى حسنات:-
قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صِدْقًا وَأُولَٰئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ [الفرقان: ٦٨: ٧٠]

نجد أن الله في هذه الآية امتدح ما يفعله المؤمنون من توحيدهم لله وامتثالهم لنهيهِه بعدم قتل النفس إلا بحقها وعدم الزنا أيضا وتوعد من يفعل ذلك بالعذاب بل ومضاعفة العذاب له يوم القيامة والخلود فيها مُهاناً مذلولاً ووعد من تاب من كل الذنوب بقبول التوبة بل ولكرمه وفضله وعظيم عطاياه يبذل الله هذه السيئات التي إقترفها إلى حسنات ويغفر له مغفرة عظيمة أبشريا من أذنبت أنك بتوبتك لله توبة خالصة نصوحا فإن الله يبذل كل ما إقترفته من الذنوب إلى حسنات بل ومن عظيم فضله يضاعفها لك أضعاف كثيرة.

وورد عن النبي - ﷺ - أنه قال " يوتى بالعبد يوم القيامة وفي يده صحائفه فيقول له الرب أتذكر يوم كذا يوم فعلت كذا وكذا فيقول العبد بلى يا رب ،ويقول الرب أتذكر يوم كذا يوم فعلت كذا وكذا فيقول العبد بلى يا رب وقد أيقن بالهلاك فيقول الرب للعبد لقد سترتها عليك في الدنيا واليوم أسترها عليك في الآخرة " .

يا له من كرم للكريم يغفر الذنوب ويستر العيوب بل ولعظيم فضله يسترها للمذنب في الآخرة فالله يوزع عطاياه في الآخرة على كل الناس حتى أنه من جليل فضله يطمع إبليس في المغفرة والعتق من النار .

بل من عظيم فضله وكرمه يعتق من النار أناساً لم يفعلوا الخير في حياتهم أبداً لمجرد حسن ظنهم بالله يقول رسول الله - ﷺ - " يوتى بالعبد يوم القيامة فيقول له الرب أتذكر يوم كذا يوم فعلت كذا وكذا فيقول العبد بلى يا رب أذكر ،ويقول الرب أتذكر يوم كذا يوم فعلت كذا وكذا فيقول العبد بلى يا رب أذكر وقد أيقن بالهلاك فيأمر ملائكته فتأخذه إلى النار وبينما هم كذلك إذا بالعبد ينظر إلي

ربه فيقول له الرب هل ظلمناك هل لك مظلمة فيقول لا يارب ما كان هذا ظني بك
فيدخله الله الجنة ."

فيا عظيم فضله ورحمته وعطاياه يعطى لمجرد حسن الظن به فاللهم يارب
لا تحاسبنا بعملنا وحاسبنا بعظيم فضلك.

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة

فقد علمت بأن عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلا محسن

فبمن يلوذ ويستجير الأثم

أدعوك ربي كما أمرت تضرعا

فإذا رددت يدي من ذا يرحم

مالي إليك وسيلة إلا الرجاء

وعظيم فضلك ثم أني مسلم

رابعاً: التوبة الصادقة من كل الذنوب تدخل صاحبها الجنة :

قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ

وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَأَعْفِرْ

لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ [التحرير: ٨]

• نجد أن الله في هذه الآية يدعو جميع المؤمنون إلى الدخول في التوبة وأن تكون توبتهم من الذنوب توبة نصوحا والتوبة النصوح هي التي لا زيغ فيها ولا رجوع فيها إلى المعاصي رجاء أن يكفر عنهم ربهم ذنوبهم وقال العلماء أن أي لفظة فيها رجاء داخل القرآن هي لتأكيد هذا الحكم ، أبشريا من وقع في المعاصي بالغفران وبالتالي العتق من النيران ودخول فسيح الجنان التي تجرى من تحتها الأنهار وذلك إذا تبت ورجعت عن المعاصي إلى رضي الله عز وجل وعملت من الطاعات كل طرقها فيبذل الله هذه السيئات إلى حسنات ويثقل الميزان وبالتالي يستحق دخول الجنان.

خامسا : بالتوبة تفتح أبواب الرجاء في عفو الرحمن ومغفرته طمعا في قبول التوبة وألا يطردها من رحمة الله وألا يوصد بينهم وبين الله باب :-
قال تعالى:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ

لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]

• نجد أن الله في هذه الآية دعا الناس إلى عدم الخوف من كثرة وقوعهم في المعاصي وبشرهم برحمته الواسعة حتى أن الله من عظيم كرمه وفضله يغفر الذنوب جميعا إذا تاب من المعاصي بل ويحول هذه الذنوب والمعاصي والخطايا إلى حسنات لكن لا يغرنك هذا وكن على حذر لأنك لا تعلم في أي وقت تكون النهاية فلا بد أن يكون عملك بطاعة حتى تموت على طاعة وحسن الخاتمة فالله اشترط لدخول الجنة والتمتع فيها الموت على حُسْن الخاتمة فالله من عظيم فضله تفضل على عباده بقبول التوبة

والدخول في رحمة الله عز وجل بل ومن كثير فضله ورحمته على عباده
وعدهم بمغفرة الذنوب جميعها فالله لا تحرمني من عظيم فضلك الذي
وسع الدنيا كلها .

بِكَ أَسْتَجِيرُ وَمَنْ يَجِيرُ سِوَاكَ

فَأَجْرٌ ضَعِيفٌ يَحْتَمِي بِحِمَاكَ

رَبِّ جُنَّتْكَ مَعْتَرَفًا بِخَطِيئَتِي

فَأَغْفِرْ لِعَبْدٍ تَجَرَأَ وَعَصَاكَ

سادسا : التوبة تؤدي إلى فتح أبواب الاستغفار وتذكر الله - عز وجل - :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ بِهِمْ وَمَنْ

يَعْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾

[آل عمران: ١٣٥]

- نجد أن الله في هذه الآية امتدح المؤمنين الذين إذا أذنبوا ذنبا تذكروا الله ففعلوا بالاستغفار لله الواحد الغفار وعلموا أن لهم ربا يغفر الذنوب جميعها كبيرها وصغيرها ولجأوا إلى الغفور الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء وعرفوا الطريق الصحيح فتضرعوا إليه لمغفرة الذنوب فداوموا على الاستغفار إلى العزيز ولم يصروا على المعاصي بعد أن علموها وعلموا ضررها واتجهوا إلى الله عز وجل راجين منه أن يغفر الذنوب ويرضى عنهم ولا يغضب عليهم أبدا.

سابعا : التوبة تؤدي إلى ثناء الله على عباده املداومين على الاستغفار:-
قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٦) الصَّابِرِينَ

وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾

[آل عمران: ١٦: ١٧]

• نجد أن الله في هذه الآية امتدح فعل المؤمنين من أنهم مع كل ما يفعلون من خيرات يداومون على الإستغفار وكذلك حال المؤمن إذا ما وقع في المعصية فإنه يرجع إلى ربه بالاستغفار .

كما قال عبد الله بن مسعود " إن المؤمن يرى ذنوبه كأنها جبل عالي يوشك أن يقع عليه ، وأن المنافق يرى ذنوبه كأنها ذبابة مرت من على أنفه فحرك إليها يده هكذا " ووض يده على أنفه .

والله - عزوجل- امتدحهم إذ أقسم بهم في هذه الآية قائلاً المستغفرين بالأسحار مادحاً فعلهم من استغفارهم إياه بالليل والناس في نومهم وهم قيام إلى ربهم ذلك بأن ذنوبهم على أكتافهم ثقيلة فقاموا الليل يستغفرون داعين الله أن يغفر لهم هذه الذنوب ويخفف عنهم حملها ، فيا من وقعت في الذنوب قم إلى الله طالباً صفحهِ وَعَفْوهِ وكرمه فهو الكريم الذي يغفر الذنوب الكثيرة لكن عليك أن تقدم طلباً بمغفرة الذنوب فأنت عليك بالاستغفار لله الواحد القهار وهو عليه العفو والصفح والجزاء الأوفى والتكرم على عباده المستغفرين النادمين من الذنوب بالدخول في الجنان والتمتع في صنع الرحمن فبالاستغفار تحصل على رضا الله عزوجل.

ثامنا : التائب من ذنبه محل رعاية الله وأهل لحفظه ورحمته وينعم عليه بالثواب
العظيم والنعيم المقيم :-

قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

وَنِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٦]

واعلم أن الله تعالى هو الذي يحفظك من الذنوب ويساعدك على تحمل
أعباء الطاعة وبعد ذلك وعدك بالمغفرة وهذا والله نعيم لا يضاويه نعيم يساعدك
على الطاعة ثم بعد ذلك يكافئك على صبرك على تحمل الطاعة وبعد ذلك يعطيك
الجنة وتدخلها خالداً فيها ثم يمدحك على فعلك بقوله ونعم أجر العاملين .

وقال رسول الله - ﷺ - "يقول الرب تبارك وتعالى أنا عند حسن ظن
عبيدي بي وأنا معه إذا ذكرني" فأنت بذكرك لله تدخل في معيته وحفظه فمن يقدر
عليك بعد ذلك أو يقترب منك فأنت في حفظ الله جل وعلى فأبشر بحفظ الله لك
فلن يجد الشيطان إليك سبيلا وبالتالي ستكثر من الطاعات تقرباً لرب الأرض
والسموات فمن يحول بينك وبينه بعد الدخول في معيته بل ويتكرم عليك بالدخول
في رحمته ومغفرته والتمتع في عطاياه من الغفران والدخول في فسيح الجنان .

تأسعا : التوبة مع المداومة على الاستغفار مع التوبة من الذنوب والمعاصي سبباً
من أسباب الخصب والنماء وكثرة النسل وتوسعة الرزق وزيادة العزة
والمنعة:-

قال تعالى:-

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدَّكُمْ

بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِي بَيْنَكُمْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ [نوح: ١٠: ١٢]

فبالاستغفار يغفر الله لك ويوسع عليك من الرزق كل ما تشتهي في الدنيا
من مال وبنين وزروع وماء وكل أنواع المعيشة فالله جعل الاستغفار لله الواحد
القهار سبباً من أسباب إنعامه على الناس ومن توسعة الأرزاق ثم بعد ذلك زاد
في الإنعام على المستغفرين ووعدهم بالدخول في فسيح الجنان التي تجري من تحتها
الأنهار ونعم أجر العاملين .